بناء السنن العلمية في الرؤية القرآنية المعرفية بين القدرة الإلهية والجهد الإنساني (الفكري والعملي) دراسة تأصيلية عقائدية إيمانية

د.عبدالعزيز حمد أحمد ستار*

مقدمة

إن الإسلام هو منهج خلافة الإنسان في عالم الشهادة، الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى له، وجعل العلم مؤهلاًله لهذه الخلافة، كما جعلت الحواس والعقل أدوات التلقي ووسائل المعرفة من عالم الشهادة. كما جعل الله تعالى القرآن مصدراً يمد الإنسان بحاجته من علم شؤون الغيب وغاياته، وعلاقة الإنسان بهذه الغايات: [**إِنَّ هَذَا القرآن يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9)**] سورة الإسراء. (وبهذا المفهوم يتكامل الوحي والعقل لتحديد دور الإنسان في عالم الشهادة، وتمكين وجوده وسعيه)[1] ولا يتحقق ذلك إلا بالاتساق مع (نظام الكون كله المستسلم لبارئه، والخاضع لناموسه)[2].

قال تعالى: [**أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ(83)**]سورة آل عمران.

والإسلام الذي يتحقق في إقامة منهج الله في الأرض وإتباعه والخلوص له- هو ناموس هذا الوجود- وهو دين كل حي في هذا الوجود.

إنها صورة شاملة عميقة للإسلام والاستسلام، صورة كونية تأخذ بالمشاعر، وترتجف لها الضمائر- صورة الناموس القاهر، الحاكم، الذي يرد الأشياء إلى سنة واحدة، وشرعة واحدة، ومصير واحد

[**أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)(83)**] سورة آل عمران.فلا مناص لهم في النهاية من الرجوع إلى الحاكم المسيطر المدبر الجليل. ولا مناص للإنسان حين يبتغي سعادته وراحته وطمأنينته بالله، وصلاح حاله، من الرجوع إلى منهج الله في ذات نفسه، وفي نظام حياته، وفي منهج مجتمعه، ليتناسق مع النظام الكوني كله، فلا ينفرد بمنهج من صنع نفسه لا يتناسق مع ذلك النظام الكوني... في حين أنه مضطر أن يعيش في إطار هذا الكون، وان يتعامل بجملته مع النظام الكوني والتناسق بين نظامه هو في تصوره وشعوره، وفي واقعه وارتباطاته، وفي عمله ونشاطه، مع النظام الكوني هو الذي يكفل له التعاون مع القوى الكونية الهائلة بدلاً من التصادم معها. وحين يصطدم بها يتمزق وينسحق، أو لا يؤدي- على كل حال- وظيفة الخلافة في الأرض كما وهبها الله له.

وحين يتناسق ويتفاهم مع نواميس الكون التي تحكمه وتحكم سائر الأحياء فيه يملك معرفة أسرارها، وتسخيرها، والانتفاع بها على وجهٍ يحقق له السعادة والراحة والطمأنينة، ويعفيه من الخوف والقلق والتناحر...فحين يخرج الإنسان

---

* أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي– جامعة غرب كردفان

[1] انظر د/ عبد الحميد احمدأبو سليمان: قضية المنهجية في الفكر الإسلامي، ضمن المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، بحوث ومناقشات المؤتمر الرابع للفكر الإسلامي، الخرطوم 15–20يناير 1987م، المعهد العالي للفكر الإسلامي ط:2 سنة 1415هـ/1994م، ج1، 2، 3، ص:124

[2] سيد قطب: في ظلال القرآنج:1، ص:421.

بنظام حياته عن ذلك الناموس لا يصطدم مع الكون فحسب إنما يصطدم أولاً بفطرته التي بين جنبيه، فيشقى ويتمزق، ويحتار ويقلق[3].

إن مفهوم بناء السنن العلمية في الرؤية القرآنية المعرفية بين القدرة الالهية والجهد الإنساني يعني، الأساس الناظم للرؤية القرآنية المعرفية، في منهجها الاستقرائي لربط الحس الإنساني والسنن الربانية الناظمة لحركة الكون والإنسان وتعريفه بالعلاقات السببية للآيات الكونية والقانونية التاريخية للسنن الربانية في الأنفس والآفاق وكيفية تكوين العملية الفكرية للإنسان، وربطها بالسنة الربانية الكونية المتفكر فيها للعمل على تسخيرها من أجل القيام بالخلافة في الأرض والعمل من أجل وراثة الجنة في الآخرة.

المبحث الأول

المنهج الاستقرائي المعرفي الحسي للرؤية القرآنية في بناء العقلية الإيمانية:

المنهج في الاصطلاح يعني (الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدِّد عملياته إلى نتيجة معلومة)[4].

إذن المنهج ليس أكثر من ميزان يلجأ إليه الإنسان في تقويم أفكاره، ابتغاء التأكد من صحة قراراته وسلامتها من الشوائب والأخطاء، والوصول إلى الحقيقة.

والميزان التي أنزلها الله مع الكتاب حيث قال الله تعالى: [**الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ(27)**]سورة الشورى.وقال: [**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25)**] سورة الحديد. هي ميزان عادلة تتضمن اعتبار الشيء بمثله وخلافه، فيسوى بين المتماثلين، ويفرق بين المختلفين، بما جعله الله في فطرة عباده وعقولهم من معرفة التماثل والاختلاف.

فإن قيل إذا كان هذا مما يعرف بالعقل بداهةً فكيف جعله الله تعالى مما أرسلت به الرسل؟ قيل لأن الرسل -(عليهم الصلاة والسلام)- ضربت للناس الأمثال العقلية التي يعرفون بها التماثل والاختلاف فإن الرسل دلت الناس وأرشدتهم إلى ما به يعرفون العدل، ويعرفون الأقيسة العقلية الصحيحة)[5].

فالمنهجية القرآنية المعرفية لا تنظر إلى المعرفة كشذرات متفرقة، كل منفصل عن الآخر، ولا يجمعها نظام متسق، بل العالم يربط وحدة المعرفة بين أجزاء الوجود الكوني، رغم تباينها في كل واحد[6].

وإذا أردنا أن نوضح ذلك أكثر فلننظر إلى الموضوعات المختلفة التي يحملها قوله تعالى: [**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ 27 وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ) (28)**]سورة فاطر.

---

[3] سيد قطب ، مرجع السابق، ص:421-422.

[4] عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي: القاهرة: دار النهضة العربية، 1963م، ص:5.

[5] شيخ الإسلام ابن تيمية: كتاب الرد على المنطقيين: تحقيق سليمان الندوي بمباني، الهند، المطبعة التيمية 1949م، ص:382

[6] كارم غنيم: قضية العلم والمعرفة عند المسلمين: مجلة المسلم المعاصر سنة:3، العدد: 39، رجب، شعبان، رمضان1404هـ ، ص:41

وهكذا نرى أن الله تعالى تكلم عن النبات، وتكلم عن الجماد، وتكلم عن الحيوان، وتكلم عن الإنسان ... ثم يقول: [**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء (28)**] سورة فاطر. العلماء في ماذا ؟! فيما يتعلق بخلق الله من الجماد والحيوان والنبات والإنسان..

ولذلك جاء الله سبحانه وتعالى بالمختلفات الموجودة في النوع الواحد.. لو أنه جنس واحد لما وجد فيه متناقضات.. إنما قوله تعالى: [**ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا (27)**] سورة فاطر. كان يجب أن نلتفت.. و لماذا اختلفت ألوانها؟.. وما هي العلاقة بين الألوان والطبيعة؟[7].

ولا تتأتى لنا معرفة ذلك إلا بوساطة المنهج الاستقرائي المعرفي للرؤية القرآنية. فالاستقراء هو (تتبع الجزئيات للاستدلال بها على الكلي، فإن كان تاماً وحصر كل الجزئيات يسمى الاستقراء التام، وهو الذي يفيد اليقين)[8].

فالإسلام يعتمد المنهج الاستقرائي.. يعتمده في كشف السنن، والقوانين الثابتة.. والمطردة، التي تحكم الحياة والكون والأنفس، والآفاق، الأمر الذي يأتي منه البصارة وإستقراء حركة النهوض والسقوط والتداول الحضاري، بل لعل البرهان والدليل على ثبات السنن وإطرادها هنا يتحقق من الاستقراء..فالسير في الأرض واكتشاف السنن الحاكمة لحركة الحياة أو فقه الحياة نلمحه في قوله تعالى: [**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ... (137)**]سورة آل عمران.

وقوله تعالى:[**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (53)**]سورة فصلت . فاكتشاف السنن والتوصل إلى الدليل، الذي يبين الحق، إنما يتأتى من استقراء التاريخ، والواقع، وآيات الأنفس والآفاق)[9].عن طريق الحواس والوحي الإلهي.

أمامفهوم الحس:

فالحواس وسيلة هامة من وسائل اكتساب المعرفة، وهي بمثابة النوافذ التي نطل من خلالها على ما يقع في البيئة المحيطة بنا[10].

أما تعريف الحس في اللغة: فهو الصوت الخفي الذي يصدر عن الحركة. مأخوذ من قوله تعالى: [**لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ) (102)**] سورة الأنبياء. أي صوتها.

والإحساس هو العلم بالحواس، وهي مشاعر الإنسان كالعين والأذن والأنفس واليد، وحواس الإنسان: المشاعر الخمس وهي: الطعم والشم والبصر والسمع واللمس[11].

وعرَّف الراغب الأصفهاني: (الحاسة بأنها القوة التي بها الحسية والحواس: المشاعر الخمس، يقال حسست وحسيت وأحسست)[12].

---

[7] مُحَمَّد متولي الشعراوي: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، دار العودة بيروت، طبعة: 1980م، ص:29، 30

[8] شيخ الإسلام ابن تيمية: كتاب الرد على المنطقيين، ص:159

[9] الدكتور احمد مُحَمَّد كنعان، أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ص:10، 11

[10] عبد الرحمن صالح عبد الله: المنهاج أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة السعودية، ط:1 سنة: 1406هـ/ 1986م، ص:229

[11] ابن منظور: لسان العرب، ج:2، ص:49-50

[12] الراغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القران: تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون تاريخ، ص:115

وعُرِّفت الحاسة بأنها: (قوة طبيعية في الجسم، وبها يدرك الإنسان والحيوان الأشياء الخارجة عنه، وما يطرأ على جسمه من تغيرات)[13].

أما مفهوم التجريب:

فإن العرب تقول (رجل مُجَرَّب) – بالفتح- لمن جربته الأمور وأحكمته وإن كانت تلك من أنواع البلايا التي لا تكون باختياره. وذلك أن التجربة تحصل بنظره واعتباره وتدبره، كحصول الأثر المعين دائراً مع المؤثر المعين دائما، فيرى ذلك عادة مستمرة[14].

فإنَّ لفظ (التجربة) يستعمل فيما يجربه الإنسان بـ(عقله وحسه)[15].

فإذا كانت المعرفة حسب مفهومها الإسلامي هي: (كل معلوم دل عليه الوحي والحس والتجربة)[16] وهذا ما يدل على أن القرآن الكريم قد رفع من شأن الحواس، بأن جعل لها دوراً هاما في عملية المعرفة، وذلك لأنها هي التي تجعل الإنسان على اتصالٍ تام بالكون وبها يستطيع أن يتعرف على الأشياء المحيطة به.

وباستقراء القرآن الكريم يتأكد لنا؛ أن الإنسان يولد خالياً من المعارف إذ يقول تعالى:[**وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (78)**] سورة النحل، وفي مكان آخر يقول تعالى: [هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (1)] سورة الإنسان. ثم بعد أن يقرر أن الإنسان خلق بلا علم ولا معرفة، يذهب إلى أن الله تعالى الخالق الكريم قد زوده بعدد من الحواس تمكنه من تجاوز هذه الحالة والانتقال إلى حالة العرفان والعلم، ومن هنا نجده يتبع النص الأول بقوله: [**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)**] سورة النحل، وكذلك يكمل النص القرآني الثاني بقوله: [**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)**] سورة الإنسان، ولقد دعا القرآن الناس إلى التبصير بحقيقة وجودهم وارتباطاتهم الكونية عن طريق (البحث الحسي) فيما حولهم، ابتداء من موقع أقدامهم وانتهاء بآفاق النفس والكون، وأعطى للحواس مسئوليتها الكبيرة عن كل خطوة يخطوها الإنسان المسلم في مجال البحث والنظر والمعرفة والتجريب. قال تعالى: [**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً (36)**] سورة الإسراء.

وناداه أن ينعم النظر فيما حوله.. إلى طعامه: [**فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ 24 أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا 25 ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا 26 فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا 27 وَعِنَبًا وَقَضْبًا 28 وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا 29 وَحَدَائِقَ غُلْبًا 30 وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) (31)**] سورة عبس . وإلى خلقه: [**فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ**] (5) سورة الطارق. وإلى الملكوت: [**أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ (185)**] سورة الأعراف و إلى التاريخ وحركة الإنسان في الأرض: [**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82)**] سورة غافر.

---

[13] المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية القاهرة، ص:65

[14] شيخ الإسلام ابن تيمية: كتاب الرد على المنطقيين، ص:93

[15] المرجع السابق: ص:94

[16] طه جابر العلواني: الأزمة الفكرية المعاصرة– تشخيص ومقترحات علاج، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المحاضرات(1)، ط:2: سنة 1413هـ/1992م، هيرندن فرجينا بالولايات المتحدة، ص:33.

وإلى خلائق الله: [**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ 17 وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ 18 وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ 19 وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ 20)]** سورة الغاشية. إلى الآيات المنبثة في كل مكان: [**انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75)]**سورة المائدة.

كما أمر بالنظر إلى النواميس الاجتماعية: [**انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (21)**] سورة الإسراء. وإلى الطبيعة وهي تنبعث من قلب الفناء برحمةٍ من الله تعالى وقدرته: [**فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا (50)**] سورة الروم. وإلى الثمار وهي تتدلى من غصون الأشجار: [**انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ (99)**] سورة الأنعام وإلى الحياة كيف بدأت، وكيف نمت وارتقت: [**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)(20)**] **سورة العنكبوت.**

ودعاه أن يحرك (سمعه) باتجاه الأصوات، لكي يعرف ويميز، فيأخذ أو يرفض فمن الاختيار البصير ينبعث الإيمان والعلم بالآيات الكونية والاعتبار بها والاستدلال على عظمة خالقها ومقدرها ومسيرها، قال تعالى: [**وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ)(21)**] سورة الأنفال وقال تعالى: [**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (67)**] سورة يونس وقال تعالى: [**وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**](65) سورة النحل.

وانتقل القرآن خطوة أخرى، وسألهم أن يُحِّركوا (بصائرهم) تلك التي تستقبل في كل لحظة مدركات حسية، وبصرية ولمسية لا حصر لها ومن ثم تتحمل البصيرة مسؤوليتها في تنسيق هذه المدركات وتمحيصها، وموازنتها وفرزها من أجل الوصول إلى الحق الذي تقوم عليه وحدة نواميس الكون والخليقة: [**فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا (104)**]سورة الأنعام.

فالله سبحانه وتعالى يدع الادراك البشري أن يبحث وان ينقب عن سنن الكون وقوانينه وأن يعرف ما قدره الله له لكي ينفع به في تنمية حياته ويستدل من خلاله على حقيقة مكانه في الوجود [17] - فهذا البحث وهذا التنقيب هو الاستقراء- (فالاستقراء هو طريق البحث في الجزئيات التي تأتي من المدركات الحسية التي تصل إلى الدماغ بوساطة الخلايا العصبية فيفسرها ويترجمها ويطبع أثرها في النفس، ويأتي دور اللغة لتعبر عنها بالعبارات والجمل، أو بشكل من أشكال التعبير في الفنون المختلفة)[18].

والنصوص الإسلامية الواردة في الكتاب والسنة بالإضافة إلى اجتهادات العلماء تحث على التوجه العلمي والعملي والفكري، ودراسة القرآن تشير صراحة إلى البحث العلمي عن نشأة الكون [**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ 20 وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)**]سورة الذاريات .

وإذا قرأت قوله تعالى: [**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)(20)**] سورة العنكبوت، علمت أن الرؤية القرآنية تدخل في دائرة اهتمامها المعرفي البحث عن جواب للسؤال كيف؟! وقد وردت كلمة (كيف) الدالة على المعرفة

---

[17] عماد الدين خليل: حول تشكيل العقل المسلم، ص:72-74.

[18] مُحَمَّد بن احمد بن ناصر الحربي: اقرأ باسم ربك، ج2، ص:106- انظر مُحَمَّد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء، دار التعارف للمطبوعات، ط:4، ص:507-509- وانظر أيضا: زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة 1951م، ص:458-461.

الاستقرائية الكيفية (87)[19] مرة كلها مرتبطة بالسؤال عن الهيئة الكيفية للمستفسر عنه، حاثا القرآن الإنسان لاستخدام حواسه في الاستفسار والسؤال عن الكيفية!. والبحث عن كيفية خلق السماوات السبع المتطابقة وبنائها: [**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (15)**] سورة نوح وقال تعالى: (أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ) (6) سورة ق. والبحث عن كيفية خلق السماء- والإبل والجبال والأرض: [**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ 17 وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ 18 وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ 19 وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**] سورة الغاشية. والبحث عن كيفية بداية الخلق وعن كيفية أعادته بعد الفناء: [**أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ 19 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**] سورة العنكبوت، والقرآن يخبرنا عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه كان يبحث عن جواب للسؤال كيف؟ قال: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى)(260) سورة البقرة. وقد جاء الرد على سؤاله عن كيفية إحياء الموتى حسيا وتجريبيا قائما على التجربة والملاحظة: [..**قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260)**] سورة البقرة.

قال الشهيد سيد قطب معقباً على هذه الآية: (وقد كشفت التجربة والحوار الذي حكى فيها تعدد المذاقات الإيمانية في القلب الذي يتشوق إلى هذه المذاقات قال تعالى:

[**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (260)**]سورة البقرة.

لقد كان إبراهيم ينشد اطمئنان الإنس إلى رؤية يد الله تعمل واطمئنان التذوق للسر المحجب وهو يجلي ويتكشف ولقد كان الله يعلم إيمان عبده وخليله، ولكنه بسؤال الكشف والبيان والتعريف بهذا الشوق وإعلانه، والتلطف من السيد الكريم الودود الرحيم مع عبده الأواه الحليم المنيب!

ولقد استجاب الله لهذا الشوق والتطلع في قلب إبراهيم ومنحه التجربة الذاتية المباشرة...ورأى إبراهيم السر الإلهي يقع بين يديه، وهو السر الذي يقع في كل لحظة. ولا يرى الناس إلا آثاره بعد تمامه، انه سر هبة الحياة. الحياة التي جاءت أول مرة بعد أن لم تكن، والتي تنشأ مرات لا حصر لها في كل حي جديد)[20].

ويشير أحد الباحثين إلى أن السؤال عن معرفة الكيفيات كما سبق عند إبراهيم عليه السلام- يمثل حقيقة تجريبية يمكن الاعتماد عليها في توظيف إنتاج المعرفة الكيفية[21]. ويمكن الإفادة من ذلك أيضا في تنمية التربية التساؤلية لدى المتعلم، لينتقل من طور التلقين بصورة تحمل قدراً من السلبية إلى طورٍ أفضل فيه من التفاعل الايجابي، ما يدفع به إلى القيام بعملية الاختبار التجريبي، ومن ثم الحصول على المعرفة واكتشاف نتائجها بمفرده وذلك ضرب من ضروب التعليم

---

[19] محمد فؤاد عبد الباقي – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم– ص: 816 – 817.

[20] سيد قطب: في ظلال القران، ج:1، ص:302

[21] أحمد المهدي عبد الحليم، نحو صيغة إسلامية للبحث الاجتماعي والتربوي، رسالة الخليج العزيز، عدد:23 المجلد الثامن، سنة 1408هـ/1987م، الرياض، مكتبة التربية العربي، ص38

الذاتي[22]. وأن الملاحظة تعرض علينا الكيفية التي نبحث عن صورتها مختلطة بكيفيات أخرى مهمة الاستقراء استخلاصها باستبعاد او إسقاط كل ما عداها[23].

فقد دلنا القرآن الكريم في قصة هداية إبراهيم عليه السلام- لمعرفة الخالق- جلَّ وعلا- أنه استخدم خطوات المنهج الاستقرائي الحسي التجريبي والذي بدأ من الإحساس بوجوده مشكلة قائمة في الواقع وهي ضرورة وجود خالق لهذا الوجود ثم حددها بمشكلة الضلال والخرافة التي وقع فيها أبوه وقومه، وانتقل إلى وضع فرضيات لخالق هذا الوجود وفحصها واحدة بعد الأخرى عن طريق الأداة الكلية هنا وهي الحس (البصر) وحينما توصل إلى بطلان كل تلك الفرضيات انتقل إلى فرضية رابعة وهي ضرورة وجود خالق لهذا الوجود، ليس كمثله شيء، فتحققت سلامة هذه الفرضية وحصل اليقين العلمي.[24]

وبذلك يكون إبراهيم عليه السلام قد تدرج عبر خمس خطوات هي خطوات البحث التجريبي على النحو التالي:

1. الإحساس بالمشكلة
2. تحديد المشكلة
3. وضع فرضيات لحل المشكلة
4. فحصها واختيار فرض الفروض
5. التقويم وإصدار الحكم

وهذا ما تنطق به هذه الآيات قال تعالى:

[وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ 74 وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ 75 فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ 76 فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ 77 فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ 78 إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ79)] سورة الأنعام. والملفت للنظر في هذا المنهج الإبراهيمي استناده إلى طريقة التفكير الاستقرائي حيث بدأ الجزئيات ممثلة في مظاهر الطبيعة المختلفة ففسرها ومن ثم توصيل شعوره الحسي إلى الحقيقة الإلهية المطلقة (الخالق سبحانه وتعالى) رب السموات والأرض وما فيهن فاتخذه ربا وحده لا شريك له[25]. وقد أطلق أحد الباحثين على هذه النظرة الاستقرائية الجامعة بين قراءة الوحي وقراءة الكون (منهج الجمع بين القراءتين)[26] كما أطلق عليها باحث آخر (تحري الرشد) وقال يمكن أن نسميه بمصطلح القرآن (تحري الرشد)[27].

---

[22] أحمد محمد حسين الرغشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريموتضميناتها التربوية، ص:219

[23] محمد بن احمد بن ناصر الحربي، اقرا باسم ربك، ص:160.

[24] أحمد محمد حسين الدغشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريموتضميناتها التربوية، ص:219

[25] انظر: أحمد محمد حسين الدغشي: نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية، ص:220

[26] محمد أبو القاسم حاج حمد: منهجية القرآن المعرفية (أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية، ص:146، وأسلمة المعرفة: المفاهيم والقضايا الكونية، مجلة تفكر، تصدر من معهد إسلام المعرفة (أمام) جامعة الجزيرة، السودان، المجلد الثالث: العدد:2 سنة:1422هـ/2001م، ص:18

[27] صلاح عبد المتعال: المنهجية الإسلامية والمعايير الأخلاقية للبحث، ضمن: المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، بحوث ومناقشات، المؤتمر الرابع للفكر الإسلامي، الخرطوم: 15–20يناير 1987م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرتدن، فيرجينا، الولايات المتحدة، ط:2 ج:1، 2، 3، 1415هـ/1994م، ص:257

وقد نشا منهج البحث العلمي التجريبي في أحضان العقيدة الإسلامية، والتصور الإسلامي للحياة في التفكير العلمي بالاعتماد على مبدأ المشاهدة والتجربة بتأثير وتأثر ديني وغطاء اعتقادي يجعل الهيمنة الدائمة لله تعالى في كل شأن من شؤون المسلم. ووجد المسلمون في النصوص الشرعية والدينية- من الكتاب والسنة ما يؤيدهم ويشد أزرهم[28]. وكما أن الإنسان لا غنى له عن معرفة المادة وخصائصها وسبل الاستفادة منها كذلك لا غنى له عن معرفة ماضيه الذي انبثق عنه ونهايته التي سيؤول إليها وعن معرفة أبعاد المركبة الكونية التي تسير به والتي يتقلب في جنباتها ويتفاعل معها، بدليل أن أشواق الإنسان إلى معرفة هذه الغوامض أشد من تطلعاته إلى تحليل المادة الخاضعة لحواسه المنتشرة تحت نظره ووعيه.

إذن فلابد لهذا الإنسان أن يمسك في رحلته هذه بمصباحين اثنين هما مصباح العقل السليم والنقل الصحيح، وقد علمنا أن النقل المدعوم بالمنهج الصحيح والمتضمن للحقائق العلمية العامة الشاملة عن بنية هذا الكون وهويته أو المبني عن مبدئه ونهايته وقد تكفل به القرآن الذي هو كلام صانع هذا الكون، ومبدعه يخاطب به- أولي الألباب وأولي الأبصار المتدبرين والمتفكرين في خلق السماوات والأرض: [**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ 190 الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ 191 رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ 192 رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ 193)**] سورة آل عمران .

وقال تعالى: [**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاء وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاء يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ 43 يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ 44)**] سورة النـور.

للتفكر والتبصر - لابد من المشاهدة والملاحظة، فالآيات في الكون والكتاب تثير في الشخص الانتباه والتيقظ أمام أي ظاهرة أو أي شيء ملفت للانتباه، ومثير للأسئلة العقلية التي تتراوح بين العمق والبساطة - وعلى هذا السياق من الحث على النظر والتفكر في الكائنات والمخلوقات تتوالى آيات كثيرة في القرآن الكريم آخذة بعضها برقاب بعض، ولا يقف القرآن الكريم على مجرد لفت النظر، بل يمعن فيعطي سبحانه وتعالى رؤوس مواضيع للبحث والتنقيب[29].

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: [**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (45)**] سورة النـور، (فهذه الطريقة في تنبيه الحواس والمشاعر جديرة بأن تفتح العين والقلب والأذن على عجائب هذا الكون-وهي دعوة للإنسان كالذي يراه أول مرة مفتوح العين منتبه الحس، حي القلب، مستنير الحواس لكشف الغطاء عن بعض أسرار هذا الكون وكائناته، فالحقائق الكونية الكامنة في الظواهر الطبيعية يمكن أن يتوصل إليها الإدراك البشري مباشرة، بالطرق والأساليب العملية التي تجعل من المشاهدة والتجربة مدخلا واسعا لبناء الخبرة وعلم اليقين وحق اليقين وعين اليقين.

---

[28] أحمد بن مُحَمَّد بن ناصر الحربي: اقرأ باسم ربك،ج:2، ص:167

[29] جمال مُحَمَّد الهنيدي: تربية علماء الطبيعيات والكونيات المسلمين في القرون الخمسة الأولى من الهجرة، ص:82-(مصدر سابق).

فالمشاهدة والتجربة يمكن اعتبارهما مدخلاً فطرياً لمعرفة الحق سبحانه من خلال معرفة أفعاله، وبالتجربة والمشاهدة يزداد التراكم المعرفي، وتزداد حصيلة العلم بالله وبالمنافع الجليلة التي أودعها الله- برحمته- في جميع الكائنات وسخرها وذللها للانتفاع بها فيزداد الذين آمنوا ايماناً[30]. في هذا يقول تعالى: [**إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ 3 وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ 4 وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ 5 تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ 6)**] سورة الجاثية. إن انفتاح المرء على الكون وفقهه لما فيه واستمكانه منه، هو التوجيه القرآني.. ولذلك (ألح القرآن في الدعوة إلى استخدام الحواس- من بصر وسمع ولمس- في تدبر وتفقه كل ما يحيط بالإنسان، كما دعا الإنسان إلى التأمل بالعقل والتدبر بالقلب في كل ما يراه الإنسان في ملكوت الله في السماوات والأرض، ودعا سبحانه وتعالى الإنسان أن ينتقل من المحسوس او المنظور إلى المفهوم، ومن الرؤية الواضحة إلى المحجوب من ورائها وأن يستند في ذلك كله على بديهيات العقل وإلهاماته)[31] قال تعالى [**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ 6 وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ 7 تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ 8 وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ 9 وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ 10 رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ 11)**]سورة ق. فإن دراسة الكون، منهج قرآني واضح لبناء الإيمان أولاً ولدعمه وحراسته ثانياً، ولمنافع البشر ومتاعهم ثالثا، ومع ذلك فان أجيالاً كثيرة من البشر غلقت حواسها ومشاعرها دون هذه الدراسة، فذمهم الله وجعلهم من الجاحدين باستعمال حواسهم في تدبر آيات الله: [**وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) (26)**] سورة الأحقاف.

(وأن عدم استخدام وسائل الإدراك- الحسية- فيما خلقت من اجله يعد ذنبا من الذنوب وينزل بالإنسان من مرتبة الإنسانية إلى مرتبة أدنى من مرتبة الحيوانية)[32] وفي ذلك يقول القرآن الكريم: [**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (179)**] سورة الأعراف- وأن الإنسان بتحريكه هذه القوى والطاقات وبفتحه هذه النوافذ على مصراعيها وباستغلاله قدراته الفذة حتى النهاية، سيصل قمة انتصاره العملي والديني على السواء؛ لأن هذه الانتصارات ستؤهله لأن يكون سيدا على العالمين وخليفة لله في الأرض، وانه بتجميد هذه الطاقات وقفل نوافذها، وسحب الستائر والأغشية عليها يكون قد اختار بنفسه المنزلة الدنيا التي ما أرادها الله يوم منحه نعمة السمع والبصر والفؤاد.. منزلة البهائم والأنعام[33].

ويحرص المنهج القرآني حرصا ظاهرا على تعليق حس الإنسان وقلبه وعقله بكتاب الكون المفتوح، وكتاب النفس المكنون حيث تتجلى فيهما آيات الله المبدعة، وصنعة الصانع الحكيم.. وكذلك يصبح الكون بكل مجاليه موحيا دائما ومحركا دائما

---

[30] أحمد بن مُحَمَّد بن ناصر الحربي: اقرأ باسم ربك، ج:2، ص:207.

[31] أحمد عصام عبد الوهاب، احمد حسنين القفل: حول التوجيه الإسلامي لعلم الأحياء وتقويم مناهجه الحالية في معاهد التعليم بالعالم الإسلامي في ضوء هذا التوجيه، مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم، ص:99-100.

[32] محمود حمد زقزوق: الحضارة فريضة إسلامية، مجلة المسلم المعاصر السنة السادسة عشرة، العدد الثالث والستون، رجب، شعبان، رمضان/ 1412هـ، فبراير، مارس، ابريل/1992م، ص:35

[33] عماد الدين خليل: حول تشكيل العقل المسلم ص:74-75.

إلى التدبر والتأثر وتصبح النفس الإنسانية - بكل ما فيها من دلائل القدرة والإبداع فوق ما تطبعه هذه الصحبة للصنع الإلهي في حس المسلم من التوفر والحساسية واللطف وما تطبعه في عقله من الاستقامة والوضوح والعمق، وما تطبعه في روعه من الشفافية والانطلاق. ثم من الإنس بهذا الكون المأنوس، والأنس بصاحب هذا الكون المأنوس والصداقة العميقة بين القلب البشري وهذا الوجود الحي الجميل المتجدد الصديق: [**أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا 45 ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا 46 وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا 47 وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا 48 لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا 49 وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا 50 وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا 51 فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا 52 وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا 53 وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا 54 وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا 55 وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا 56 قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا 57 وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا 58 الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا 59 وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا 60تبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا 61 وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا** 62] سورة الفرقان.

ومن خلال هذه الآيات نستنتج أن الإنسان مخلوق خاص ذو كيان خاص، تميزه في ازدواج عناصر تكوينه, ومزود بخصائص الخلافة وأولى هذه الخصائص: الاستعداد للمعرفة النامية المتجددة ومجهز لاستقبال المؤثرات الكونية والانفعال بها والاستجابة لها، ومن مجموع انفعالاته واستجاباته يتألف نشاطه الحركي للتعمير والتغيير والتعديل والتحليل والتركيب والتطوير في مادة هذا الكون وطاقاته فعلاقته العضوية تربطه بتعامل مع الكون كله وما فيه ومن فيه. وهو فوق ذلك كله مع ربه سبحانه وتعالى المتعالي عن الكون- يتعامل كذلك مع الملأ الأعلى من الملائكة واللوح المحفوظ والقلم ويتعامل كذلك مع الجن والشياطين ومع نفسه واستعداداته المتنوعة، ومع سائر الأحياء الكونية ومع طاقات الكون الظاهرة والخفية ومع مادة هذا الكون وأشيائه..والكون مهيأ للتعامل معه كما أنه م

جهز بوسائل التعامل مع الكون ومع رب الكون بما ركب فيه من روح وعقل وحواس وقوى وطاقات تناسب ازدواج عناصر تكوينه. ويمكن لنا ان نوضح بعد كل ذلك (المنهج الاستقرائي الحسي التجريبي في السنن الربانية) بالشكل رقم (1) أدناه:

شكل رقم (1)

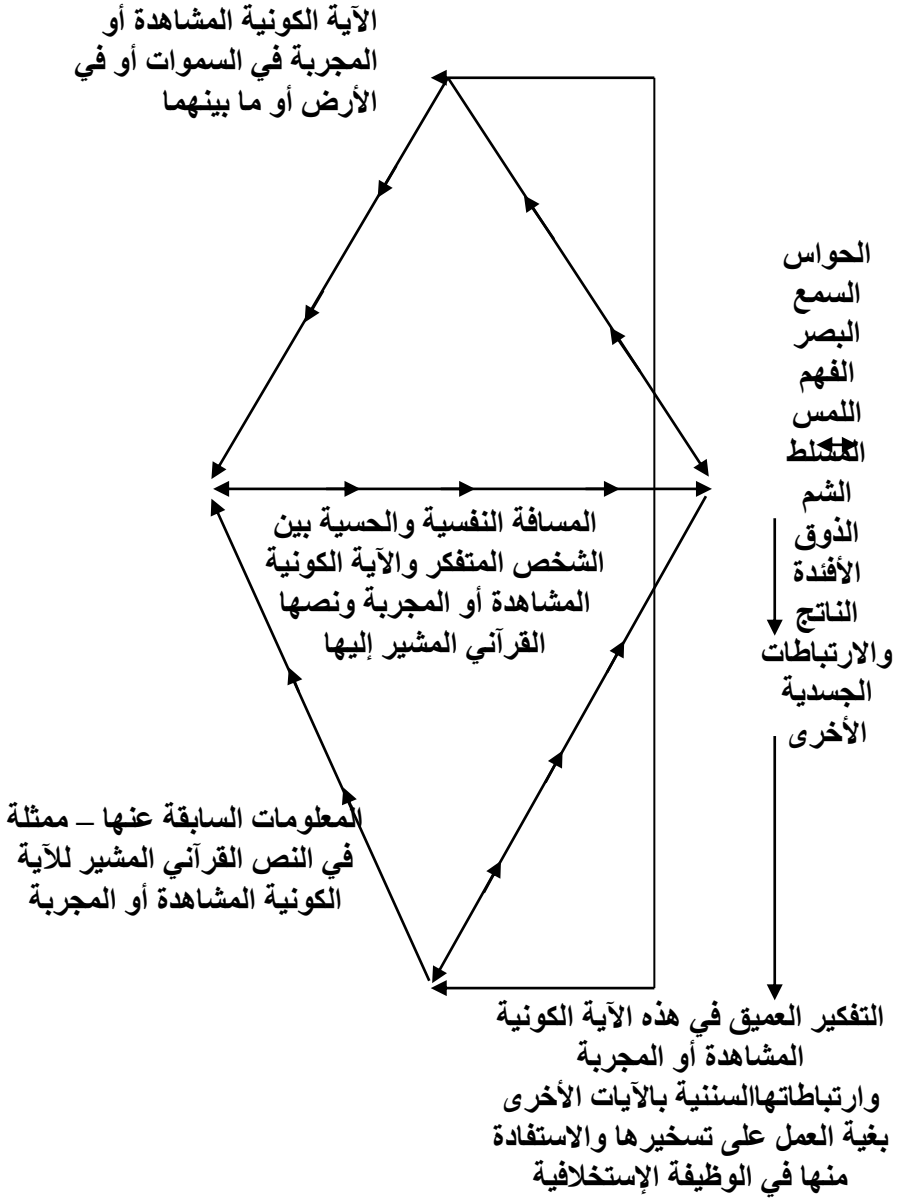

يتضح من الشكل رقم (1) أعلاه:

أولا: إن الله سبحانه وتعالى- زود الإنسان بوسائل الإدراك الحسية الآتية: السمع والبصر واللمس والشم والذوق والأفئدة- بعد أن أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئاًوهيأه ليستخدم تلك الحواس المكونة لعملية التعقل والفهم على الآية الكونية المشاهدة أو المختبرة في التجربة سواء كانت تلك الآية الكونية في السماوات أو في الأرض- حسب درجات الوسيلة الحسية الإدراكية وبعدها المختبري المعرفي المستقري للآية الكونية وتدرجها حسب توضيحها في الشكل أعلاه.

ثانيا: إذا كان المرء يولد وهو لا يعلم شيئاً- فعندما يعمل حواسه على الآية الكونية- يمثل هذا اختبارا قلبيا- حسب مفهوم المنهج التجريبي- ولكن هذا الإنسان يحتاج إلى (معلومات) تعريفية عن الآية الكونية المختبرة حسيا وهذه

(المعلومات) تجدها الحواس في النصوص القرآنية المشيرة إلى الآية الكونية المختبرة حسياً - وهذا يعد اختبارا بعدياً في المنهج التجريبي.

ثالثا: هناك مسافة نفسية وحسية بين الشخص المُخْتَبِر - والآية الكونية المختبرَة والنصوص القرآنية المعرفية المشيرة إليها قربا وبعدا تمثل هذه المسافة ناتجا في الفرق المعرفي من ناحية النفع إذا استخدم الشخص المختبر حسيا - حواسه حسب توجيهات النصوص القرآنية المعرفية المشيرة للظاهرة الكونية المستقرأة والممثلة (للمعلومات) عنها – ويستفيد منها وأما إذا كان الأمر غير ذلك فيكون هذا الشخص المستخلف قد عطل سنة كونية تمثل مصدراً مساعدا له في الخلافة في الأرض صلاحا والفوز في الآخرة فلاحا.

رابعا: إذا طبق الشكل في بعده المفاهيمي المبين أعلاه – فيكون الناتج- إن شاء الله بعداً تفقهياً لهذه الظواهر الكونية المشاهدة- او المختبرة تجريبيا- وتسخيرها مع اكتشاف القوانين والسنن الربانية الرابطة لهذه الظواهر الكونية والآيات الكونية الأخرى والتي تمثل متغيرا مؤثرا تابعا - ولكن قبل الاختيار الحسي- يحسها الشخص المختبر، مؤثرا مستقلاً !

وإذا أردنا أن نعطي الشكل البياني أعلاه توضيحا أكثر يمكن لنا تطبيقه على الظاهرة الكونية الآتية (الماء ومستخرجاته المختلفة) في منطوق النصوص القرآنية المعرفة والمشيرة لتلك الظاهرة المختبر حسيا: (الماء ومستخرجاته المختلفة) – وهذا النص يمثل (المعلومات المعرفة): [**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ 27 وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ 28 إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ 29 لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ 30**)] سورة فاطر. فهنا- نرى أن الله سبحانه وتعالى تكلم عن انه استخرج من الماء كآية كونية- الآيات الكونية التالية- الثمرات والجبال، والناس، والدواب والأنعام.. ثم قال سبحانه وتعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) العلماء في ماذا ؟ فيما يتعلق بخلق الله المستخرجة من الماء - (من الثمرات، وجبال، وناس، ودواب، وأنعام) بمختلف ألوانها.

ولذلك جاء الله سبحانه وتعالى بالمتناقضات الموجودة في النوع الواحد، لو أنه جنس واحد لما وجد فيه متناقضات..إنما قوله تعالى (ثمرات مختلفا ألوانها) كان يجب أن نلتفت إليها- لان الله سبحانه وتعالى قدم استفسارا لنا في أول تلك الآيات وهو قوله (ألم تر) التي وردت كثيرا جدا في كتاب الله الكريم والتي معناها (ألم تعلم)، ووسائل العلم الإدراكية هي الحواس: البصر، السمع اللمس، والشم والذوق والأفئدة الممثلة للحواس الإدراكية الداخلية وبهذه الحواس تأتي الرؤية التي تمثل تجربة المختبر الشخصية.. فأقوى وسائل العلم هو ما تراه[34].

فاختلاف ألوان مستخرجات الماء من نبات وجماد وحيوان وإنسان.. لماذا اختلفت ألوانها؟! وما هي العلاقة بين الألوان والطبيعة.؟فإذا أخذنا النبات مثلا أولاً: فوجد من الدراسة أنه غير الماء يشترك في نموه: التراب، والهواء، والطاقة الشمسية مع عدم وجود موانع الإنبات! فالتراب مكوناته: مختلف العناصر المعدنية او الهواء مختلف العناصر الغازية.. والضوء مختلف العناصر الإشعاعية. فإذا زرعت حنظلا.. بجانب قصب سكر، فيخرج ثمار هذا حلوا وذاك مر- علما بأنها

[34] الشيخ محمد متولي الشعراوي: المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ص:105

كلها تتغذى بالأنابيب الشعرية - هذا يأخذ عناصره المغذية له وهذا يأخذ عناصره من نفس التربة..إذاً كل نبات يختار غذاءه ومن هنا ظهر ما سمي بخاصية الانتخاب.. والانتخاب معناه الاختيار بين بديلان.. أي انك تترك هذا وتأخذ هذا.. ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: (يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ) (4) سورة الرعد.. لكن خاصية الأنابيب الشعرية.. تتعامل مع السائل المائي كله .. بلا تمييز.. ومن هنا نعرف أن الخاصية شيء واختيار النبات للعناصر الغذائية التي يحتاجها شيء آخر- خاص بكل نوع من أنواعه على حده[35].

وتأتي بعد ذلك الجبال وهي جمادات قال تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) (88) سورة النمل.

فاختلاف ألوانها **[وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُود)(27)]** سورة فاطر. من أين جاء هذا الاختلاف؟ وهل هي مخلوقة من الماء؟ فإذا أردنا الإجابة على هذه الأسئلة فلابد لنا من أن نستقرئ النصوص القرآنية المعرفة عن الجبال ومن ثم نحيلها إلى (التحليل والتفكيك والتركيب حسب جدلية (التشيؤ) التي تعني (الصيرورة) المقابلة لمفهوم (الجعل) باعتباره (تحولا) في الخلق من حالة إلى حالة يطلق عليها مصطلح (الصيرورة الغائية).. كمبدأ في الحركة ولكن مع ضبط اتجاه الحركة نحو الغاية فتكوين الله للخلق منذ البدء بالماء والتراب.. عبر مسار زمني طويل إنما تم ضمن الحركة في الزمان أي ضمن صيرورة هي (الجعل) في (الخلق)[36].

فالنصوص القرآنية الدالة على خلق الجبال التي نريد أن نستقرئها حسياً هي:

النص الأول هو قوله تعالى: **[أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ 17 وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ 18 وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ 19 وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ 20)]** سورةالغاشية- نجد هنا أن الله تعالى قد ذكر (الجبال) بين السماء المرفوعة والأرض المسطوحة أما المفهوم اللغوي لكلمة (نصبت) الدالة على مفهوم (خلق الجبال) قال ابن كثير: أي حصلت منصوبة فإنها ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن[37].

أما الثاني المستقرأ كدلالة مفاهيمية تعريفية عن خلق الجبال فهو قوله تعالى: **[وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا 30 أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا 31 وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا 32 مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ 33)**] سورة النازعات.ذكر هذا النص رسو الجبال كمفهوم دال على الخلق بها بعد دحو الأرض وإخراج مائها ومرعاها. والأرض والجبال المرسوة فيها متاع للناس ولإنعامهم حسب دلالة هذا النص[38].

والنص القرآني الثالث كمادة معلوماتية معرفة هو قوله تعالى: **[وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ) (88)**] سورةالنمل.و تحسبها معناها ذلك حسبان وليس حقيقة...لأن هذه الجبال التي تراها أمامك جامدة ثابتة لا تتحرك هي ليست كذلك فان الله يريد أن يقول لنا أن هذه الجبال الراسخة أوتاد الأرض (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) سورةالنبأ..هذه الجبال تمر أمامك مر السحاب وأنت لا تدري فإن قال قائل: أن هذا يحدث في

---

[35] انظر المرجع السابق، ص:30

[36] محمد أبو القاسم حاج حمد: المنهجية القرآنية المعرفية، ص:175

[37] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج:4، ص:503-504

[38] انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم/ ج:4، ص:469

الآخرة، فإننا نقول له أن الأرض لن تكون نفس الأرض... وأن الجبال ستمور، وتتبثق.. ثم هل يكون في الآخرة حسبان.. ابداً.. الآخرة ترى فيها الحقائق.. إذن فقول الله تعالى (تحسبها جامدة) معناها.. انك وأنت أمام هذه الجبال واهم.. لأنك تظن إنها جامدة وهي تمر مر السحاب[39]. فكل هذه النصوص القرآنية المستقرأة وغيرها[40] لم تدلنا على المادة التي خلقت منها الجبال.. بل دلتنا على الوظيفة الكونية التي خلقها الله من أجلها.

فإننا نعتقد إن شاء الله إن المادة التي خلقت منها الجبال هي (الماء) وذلك إذا أخذنا أن (الماء) آية كونية سماوية (فالسماوات ليست نقيض الأرض حين يحدث التفاعل الجدلي بينهما من أصل كوني واحد ليتيح حركة الصيرورة [**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) (30)**] سورة الأنبياء- فالجدلية في مفهومنا الإسلامي تعبير عن لحظة تفاعلية تضبط اتجاه الصيرورة والتطور نحو غائية قد تكون هذه الغائية في حدود عالم المشيئة لتعطي الإنسان معنى الكون المسخر له)[41]فالتشيؤ يدلنا حسب مفهوم الصيرورة أن المادة التي انقسمت على نفسها هي (الماء) المجعول منه كل شيء حي فالحياة تشمل السماوات والأرض والحياة هنا تعني أنهما يعطيان دورهما الكوني في فعل التشيؤ الذي تتكون منه مكوناتهم الطبيعية فالجبال أحد مكونات الأرض فمادامت الأرض تحيا بالماء- فالجبال لها علاقة بالماء.

فالماء الذي شُيِّئَتْ منه عندما انفتقت السماوات عن الأرض في الزمن السابق جعل من عناصره الغازية اختلاف ألوانها [**جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُود) (27)**] سورة فاطر.

أما المستخرج الثالث والمختلف ألوانه- من الماء- الناس والدواب والأنعام [**وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ**]سورة فاطر- فإذا أخذنا الأصول التي خلق منها الإنسان والتي هي (من تراب) و(من طين) و(من صلصال كالفخار) هذه الآيات الكونية تشيأت وتحولت بعد مرور الخلق للإنسان الأول (ادم عليه السلام) إلى الماء [**فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ 5 خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ 6 يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ 7**]سورة الطارق. إذن تأصل لنا خلق الإنسان من ماء حسب منطوق النص القرآني كمعطى تعريفي.

أما اختلاف ألوان الناس فقد جعله تعالى آية كونية [**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ) (22)**] سورة الروم- والعالمين هنا المراد بهم الباحثين عن الحقيقة المذكورة كآية كونية خلقية.

أما الدواب- والأنعام- كآيات كونية مختلفة الألوان في النوع الواحد متشيأة عن الماء، الممثل مكونا لها هي والناس قال تعالى: [**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا 48 لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا 49)**]سورة الفرقان.

وبعد هذا التحليل المفصل عن الماء كآية كونية؛ مختبرة حسيا تجريبيا مع مستخرجاتها يمكن لنا أن نستقرأها تجريبيا حسيا كالآتي حسب منطوق آية سورة فاطر المعرفة [**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا**

---

[39] الشيخ محمد متولي الشعراوي، المنتخب من تفسير القرآن الكريم، ص:55

[40] انظر محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص:207-208

[41] محمد أبو القاسم حاج حمد، المنهجية القرآنية المعرفية: 177.

أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ 27 وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ] سورة فاطر.

إذا كان مفهوم (ألم تر) في بعض دلالاته ألم تعلم –فوسائل العلم الإدراكية الحسية التجريبية هنا: البصر والسمع للنص القرآني والذوق للآية الكونية المختبرة حسيا (الماء)- المستخرج منه إذا كان مفهوم الحرف (من) البداية فيكون المستخرجات متعددة- ممثلة في الثمرات المختلف ألوانها، والجبال المختلف ألوانها، والناس والدواب والأنعام المختلف الوانها - الناتج المنفعي في الآية الكونية المشاهدة في ارتباطاتها السننية بالآيات الكونية الأخرى- الاختلاف آية كونية والماء مكون رئيسي حسب اختلاف عناصره في اختلاف ألوان الطبيعة. أما الآيات الكونية الأخرى المرتبطة مع آية الماء كآية كونية هي السماء المنزلة للماء والأرض والشمس وآيات أخرى دافعة للموانع الانتخابية في أخذ الألوان المشكلة لاختلافات الكائنات الكونية المتعددة المستخرجة من الماء من (ثمرات وجبال وناس وأنعام ودواب).

يقول صاحب الظلال رحمه الله: **[وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ)(9)**] سورة فاطر. إن هذا المشهد يتردد في معرض دلائل الآيات الكونية في القران، مشهد الرياح، تثير السحب، تثيرها من البحار فالرياح الساخنة هي المثيرة للبخار والرياح الباردة هي المكثفة له حتى يصير سحابا، ثم يسوق الله هذا السحاب بالتيارات الهوائية في طبقات الجو المختلفة، فتذهب يمينا وشمالا إلى حيث يريد الله لها أن تذهب، وإلى حيث يسخرها ويسخر مثيراتها من الرياح والتيارات، حتى تصل إلى حيث يريد الله لها أن تصل إلى بلد ميت.. مقدر في علم الله أن تدب فيه الحياة بهذا السحاب. والماء حياة كل شئ في هذه الأرض [**فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) (9)**]سورة فاطر - وتتم الخارقة التي تحدث في كل لحظة والناس في غفلة عن العجب العجاب فيها. وهم عن وقوع هذه الخارقة في كل لحظة يستبعدون النشور في الآخرة. وهو يقع بين أيديهم في الدنيا (كذلك النشور).. في بساطة ويسر، وبلا تعقيد ولا جدل بعيد[42].

هذا المشهد يتردد في معرض دلائل الإيمان الكونية في القرآن لأنه دليل واقعي ملموس لا سبيل إلى المكابرة فيه ولأنه من جانب آخر يهز القلوب حقا حين تتأمله وهي يقظى، ويلمس المشاعر لمسا موحيا حين تتجه إلى تأمله. وهو مشهد بهيج مثير- (للاستقراء الحسي التجريبي)- وبخاصة في الصحراء حيث يمر عليها الإنسان اليوم وهي محل جدب جرداء. ثم يمر عليها غداً وهي مترعة خضراء من آثار الماء- والقرآن يتخذ موحياته من مألوف البشر المتاح لهم، مما يمرون عليه غافلين، وهو معجز معجب حين تتأملاه البصائر والعيون[43]. ويبين المولى الأمر أكثر من ذلك فيقول جلَّ وعلا:**[وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (57)]** سورة الأعراف. وقد يرى الإنسان في مفهومه الحسي المادي بعد المساحة بين (الماء) السائل و(الجبال) الأوتاد - ولكن الحس الروحي المتسامي بالإنسان الذي يبينه لنا القرآن

---

[42] سيد قطب في ظلال القرآنج:6، ص:679 وانظر: صفوت عبد الفتاح محمود، تأملات في قوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون) دار الجيل، بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، ص:33

[43] المرجع السابق، ص:679

في منطوقه للتشيؤ التقابلي [**وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ)(27)**]سورة آلعمران – فالله سبحانه وتعالى القادر على خلق الأشياء المتقابلة بعضها من بعض.

وبناء على ما تقدم نجد أن التواصل والحواجز بين المستقرئ والظاهرة هي: النفسية والحسية والنصوص القرآنية المشيرة للظاهرة الكونية ومستخرجاتها- قربا (عن طريق التسامي الروحي) وبعداً (عن طريق التسامي المادي) فإذا تسامت المسافة الحسية المادية الحيوانية كان من الذين لا يهتدون بصيرتهم إلى حكمة الله في تدبيره ولا يرى من وراء الأحداث يد الله التي تنسق هذا الكون كله، وتقدر كل أمر وكل حادث، وفق ذلك التنسيق الشامل للوجود المترابط[44]. وإذا تسامت المسافة الحسية الروحية كان العكس. فكان من يرى التشيؤ التقابلي ومن وراءه يد الله تفعل:[**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ)(43)**]سورة النــور.

[44] صفوت عبد الفتاح محمود، تأملات في قوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شئ حي افلا يؤمنون)ص:16

المبحث الثاني

المنهج الاستقرائي الحسي للقانونية السببية ودوره في بناء العقلية الإيمانية

التعريف:

إن السببية هي مفهوم أساسي في حياة الإنسان المسلم وتكوين عقليته وبناء منهج فكره، ففطرة الإنسان وعقيدة المسلم توضح له أن الله سبحانه وتعالى أمكن له القيام بمسئولياته والتعبير عن إرادته بوساطة الفعل بالأسباب وما تقتضيه من علاقات السنن والنواميس. وبذلك يكون قد أدى واجبه واستجاب لفطرته وليس من شأنه في المحصلة النهائية موقع جهده وسعيه من خارطة الكليات الربانية. وما شاهدناه في حياة السلف الأول من جدية التدبير والتفكير والأخذ بالأسباب مع عظيم الجرأة والإقدام هو ثمرة هذا الفهم وهذا المنهج[45].

فالإنسان المسلم مكلف بالسعي بكل وسيلة في طاقته لطلب العلم والمعرفة بشؤون الحياة والكائنات لتسخيرها ورعايتها. (وكل معرفة في الإسلام لابد من التدليل عليها، والدلالة تكون من تتبع الآثار)[46].

وأما إذا أردنا أن نعرف (المنهج الاستقرائي للقانونية السببية في السنن الربانية) لابد لنا من تفكيك كلمات هذا المصطلح، ومن ثم العود بها إلى معانيها اللغوية والاصطلاحية ومن ثم يحق لنا القيام بربطها - لنعطي المفهوم المراد، وذلك لأن أي مفهوم اصطلاحي مركب بعضه على بعض في وحدة عضوية منهجية إذا انتقص منها شئ أو حُرِّف معناه كان الانتقاص في الكل[47].

فلفظ (القانون) يطلق في اللغة على قاعدة مطردة تسير على وتيرة واحدة ويعني الخضوع لنظام ثابت، لذلك يكثر استعماله بهذا المدلول في النظم التي تحكم الظواهر الطبيعية.. فيقال مثلا- قانون الكون)[48] وقانون كل شئ: (طريقه ومقياسه)[49] والقوانين هي (الأصول)[50] والمفردة الواحدة قانون (والقانون العلمي) هو اكتشاف العلاقة الوظيفية بين مجموعة من الحوادث.. والظواهر التي تحيط بالإنسان ليفسرها ويجلو غموضها ليتوصل إلى المعرفة والحقيقة في وصف الظواهر وتصنيفها، وبالتالي اكتشاف العلاقة بين الظواهر المختلفة، والتي تؤدي إلى القوانين التي تحكم هذه الظواهر والتنبؤ بها، فيمكن ضبطها والتحكم بها[51]، ومن ثم العمل على تسخيرها للإنسان ليعمل قوته فيها من أجل التعمير

---

[45] انظر: عبد الحميد أحمد أبو سليمان: قضية المنهجية في الفكر الإسلامي، بحث نشر ضمن المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية- الندوة الرابعة الخرطوم 1987م- المعهد العالمي للفكر الإسلامي- ج1، 2، 3، ص:130

[46] طه جابر العلواني: خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية، ضمن المنهجية الإسلامية- السابقة، ص:153

[47] محمد أبو القاسم حاج حمد، المنهجية القرآنية المعرفية (أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية) ص:160

[48] سمير كامل: دروس في مقدمة القانون/ مركز القاهر للتعليم المفتوح سنة 1998م، ص:17

[49] ابن منظور: لسان العرب، ج:13، ص:349

[50] محمد أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، عنى بترتيبه محمود خاطر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون تاريخ طبع: ص:553- ابن منظور: لسان العرب، ج:13: ص:349

[51] على إدريس: القانون العلمي، مجلة الهداية، يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى بتونس، العدد:4، السنة:18 رجب، شعبان: 1414هـ/ديسمبر، فبراير: 1994م، ص:64

الكوني:[**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) (13)**] سورةالجاثية. إذاً فالقانون العلمي يهدف إلى الفهم والتفسير، والتنبؤ والضبط والتحكم[52].

أما لفظ (السببية) جاءت من الجذر اللغوي (سبب) الذي معناه في اللغة: (هو كل شيء يتوصل به إلى غيره)[53]. او هو (كل شيء يتوصل به إلى شيء غيره، وقد تسبب إليه والجمع أسباب)[54].

أما عند الرجوع لكلمة (السببية) كمفردة لفظية كما وردت في القرآن الكريم، حسب منطوقها الحصري في السورة القرآنية وبعدها المفاهيمي الفكري حسب الآية الوارد فيها لفظة الاشتقاق:-

فقد وردت لفظة (سبب) والتي مفردة (سببية) في سورة الحج في قوله تعالى: [**ممَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ)(15)**]سورة الحـج.

وقد فسرها بعض الصحابة رضوان الله عليهم بقولهم (من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً (صلي الله عليه وسلم) في الدنيا والآخرة فليمدد (بسبب) أي: بحبل (إلى السماء).. ثم ليقطع- أو(فليمدد بسبب إلى السماء) أي يتوصل إلى بلوغ السماء فان النصر إنما يأتي محمد (صلي الله عليه وسلم) من السماء (ثم ليقطع) ذلك عنه إن قدر عليه[55].

كما وردت حسب منطوق جذرها الذي اشتقت منه في سورة الكهف: قال تعالى: [**وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا 83 إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا 84 فَأَتْبَعَ سَبَبًا 85 حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا 86 قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا 87 وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا 88 ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا 89 حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا 90 كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا 91 ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا 92 حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا 93 قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا 94 قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا 95 آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا 96 فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا 97 قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا 98 وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**] سورة الكهف.

قال الحافظ ابن كثير معقبا على الآيات السابقة من سورة الكهف التي وردت فيها لفظة (سببا) أربع مرات: (وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب أي: (الطرق والوسائل) إلى فتح الأقاليم.والرسانيق والبلاد والأراضي وكسر الأعداء وكبت ملوك الأرض وإذلال أهل الشرك قد أوتى من كل شيء مما يحتاج مثله إلى سبب[56].

---

[52]على إدريس: القانون العلمي، ص:64

[53]مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ص:218

[54]جاد الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر، ط: سنة:1415هـ/1994م، ص:282

[55]ابن كثير، تفسير القرآنالعظيم، ج:3، ص:216

[56]المرجع السابق، ص:104

ووفقاً لبعض المفكرين لقد ربط الإسلام إمكانية الإنجاز بمعرفة الأسباب، وكشف السنن التي تحكم حركة الكون وعالم الحياة والأحياء، وقدم القرآن (ذو القرنين) نموذجا متجسدا لربط الأسباب بالمسببات، والمقدمات بالنتائج واعتبر ذلك مقدمة لا بد منها للنهوض والإنجاز الحضاري، وبذلك لم يكتف القرآن بتأكيد موضوع السنن نظرياً فذو القرنين الذي آتاه الله من كل شئ سببا فاتبع سببا وكان له التمكين في الأرض لأنه عرف السنن وانضبط بها: سار في الأرض وكانت مساحة رحلته من مشرق الشمس إلى مغربها وتعرف من خلال هذا السير إلى أسباب العجز الحضاري، والتحديات والمعاناة التي تواجه البشر وأيقن بضرورة توفير الظروف والشروط التي تكسبهم المنعة، فكان أشبه بالمهندس الذي عرف أسباب التردي ووسائل التمكين، في الأرض ووضع الخطط، وأشرك الأيدي العاملة واستحضر المواد المطلوبة لإتمام عملية الإنجاز[57].

كما وردت لفظة (السببية) كمفردة مشتقة من الجذر (سبب) بلفظ (أسباب) في ثلاث سور قرآنية وهي:[58]

سورة البقرة، وسورة ص، وسورة غافر.

ففي سورة البقرة قال تعالى: **[وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ 165 إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ 166)]** سورة البقرة.وقالوا في الآية أن: (أولئك الذين اتخذوا من دون الله اندادا فظلموا الحق وظلموا أنفسهم..لو مدوا بأبصارهم إلى يوم يقفون بين يدي الله الواحد! لو تطلعوا ببصائرهم إلى يوم يرون العذاب الذي ينتظر الظالمين! لو يرون لرأوا (أن القوة لله جميعاً) فلا شركاء ولا أنداد..(وان الله شديد العذاب) ولو يرون إذ تبرأ المتبوعون من التابعين, ورأوا العذاب فتقطعت بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب[59].

وفي سورة ص، قال تعالى:[**أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) (10)**]سورة ص. أي إن كان لهم ذلك فليصعدوا في الأسباب.. يعني طرق السماء)[60].

وفي سورة غافر، قال تعالى: **[وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ 36 أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ 37)]**سورة غافر.

المعنى: يقول تعالى مخبراً عن فرعون وعتوه وتمرده وافترائه في تكذيب موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحا وهو القصر العالي المنيف الشاهق وكان اتخاذه من الأجر المضروب كما قال:[**فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ)(36)**]سورة القصص...لعلي ابلغ الأسباب أسباب السماوات، أبواب السماوات وقيل طرق السماوات (فاطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا) وهذا من كفره وتمرده..)[61].

أما (السبب) عند علماء أصول الفقه هو (الأمر الظاهر المنضبط الذي جعله الشارع معرفا لحكم شرعي).

---

[57] عمر عبد حسنه: مقدمة كتاب أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، للدكتور احمد محمد كنعان، ص:22،23.

[58] انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص:429

[59] سيد قطب، في ظلال القران،مرجع سابق، ج:1، ص:154

[60] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج:4، ص:28

[61] ابن كثير، تفسير القرآنالعظيم، ج:4، ص:79-80

أو: (هو ما يلزم من وجوده الوجود. ومن عدمه العدم لذاته)[62]. فالسببية قانون من سنن الله في خلقه.

وكما ذكرنا من قبل- إننا نجد أن كل الظواهر الكونية تخضع لقانون السببية[63].ومن (وجهة النظر القرآنية فإن ما نسميه القوانين الطبيعية إنما هي أوامر الله أو سننه التي يدبر بها أمور خلقه)[64].

قال تعالى: [**سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً) (77)**]سورة الإسراء...وقال سبحانه: [**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ 38 وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ 39 لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ 40**] سورة يـس...(وقد بين سبحانه وتعالى إن السنة لا تتبدل ولا تتحول في غير موضع (والسنة) هي العادة التي تضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار)[65]...فقال:[**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ)(111)**] سورة يوسف.

والله سبحانه وتعالى خلق الأسباب والمسببات وجعل هذا سببا لهذا[66]. ولهذا نجده في سورة النحل يأمر النحل وهي حشرة صغيرة أن تأخذ بالأسباب[67] قال تعالى: [**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ 68 ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ 69)**]سورة النحل.

والمراد بالوحي هنا الإلهام والهداية والإرشاد للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتا تأوي إليها ومن الشجر ومما يعرشون، ثم هي محكمة في غاية الإتقان في تسديسها ورصها بحيث لا يكون في بيتها خلل، ثم إذن لها تعالى إذناً قدريا تسخيرياً أن تأكل من كل الثمرات وان تسلك الطرق، التي جعلها الله تعالى مذللة لها أي: مسهلة عليها، حيث شاءت، من هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة والأودية والجبال الشاهقة ثم تعود كل واحدة منها الى بيتها لا تحيد عنه يمنة ولا يسرة بل إلى بيتها وما لها فيه من فراخ وعسل فتبني الشمع من أجنحتها وتقيئ العسل من فيها وتبيض الفراخ من دبرها ثم تصبح إلى مراعيها..[**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)**(11)]سورة النحل. أي أن في إلهام الله لهذه الدواب الضعيفة الخلقة إلى السلوك في هذه المهام، والاجتناء من سائر الثمار، ثم جمعها إلى الشمع والعسل وهون أطيب الأشياء، لآية لقوم يتفكرون في عظمة خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها فيستدلون بذلك..)[68]. على أن السنن التي فطر الله عليها أمور خلقه هي: (مجموعة

---

[62] انظر: القران، ابن شهاب الدين أبو العباس احمد بن إدريس: شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول من الأصول: تحقيق طه بن عبد الرؤوف بن سعيد، القاهر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى، سنة 1993م، ص:81.

–وانظر: الفتوحي، مُحَمَّد احمد بن عبد العزيز المعروف بابن النجار الفتوحي: شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير، او المختبر المبتكر في شرح المختصر في أصول الفقه: تحقيق الدكتور مُحَمَّد وهبة الزحيلي، والدكتور نزيه حماد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، طبعة: 1980/1400م، ج11، ص:455

[63] عبد الله عبد الرحمن النقيب: منهج المعرفة في القرآن والسنة، دراسة تحليلية مقارنة، بحوث في التربية الإسلامية، الكتاب الخامس من سلسلة آفاق البحث العلمي في التربية الإسلامية، دار الفكر القاهرة: 1987م، ص:43

[64] مُحَمَّد معين صديقي، الأسس الإسلامية للعلم، سلسلة الرسائل في إسلامية المعرفة.(3) منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط:1، سنة: 1409هـ/1989م، ص:54

[65] شيخ الإسلام احمد بن تيمية، مجموع الفتاوي، ج:13، مقدمة التفسير، ص:19 وانظر: كتابه: الفرقان بين الحق والباطل، ص:25

[66] شيخ الإسلام احمد بن تيمية، مجموع الفتاوي، ج:8، كتاب القدر، ص:139

[67] انظر مُحَمَّد جمال الفندي/ مع القرآنفي الكون، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م، ص:114

[68] ابن كثير: تفسير القرآنالعظيم، ج:3، ص:593، 594

القوانين التي سنها الله عز وجل لهذا الوجود، وأخضع لها مخلوقاته جميعا، على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها)[69]– فعلى المتفكرين في ملك السماوات والأرض ان ينظروا إلى النحل الذي ملك المقدمات السببية فعمل من أجل توفيقها التسخيري له فملك النتائج (فعلى المسلم أن يأخذ بالأسباب، لأنه مأمور بالأخذ بها، ويعمل وفق السنة لأنه مأمور بمراعاتها.لا أن يعتقد أن الأسباب والوسائل هي المنشأة للمسببات والنتائج فعليه أن يرد الأمر كله إلى خالق الأسباب ويتعلق به وحده من وراء الأسباب)[70].

ولقد تمكن القرآن الكريم بطرقه المستمر على الفعلية التبسيطية ان يعيد تشكيلها لتبعث من جديد بالصيغة التي أرادها لها: عقلية تركيبية تملك القدرة على الرؤية الاستشرافية التي تطل من فوق على حشود الظواهر بحثا عن العلائق والارتباطات ووصولا إلى الحقيقة المرتجاة[71]. (بإدراك الفرق بين "الخلق والتشيؤ والجعل) وتحويل تلك الفروق أعني اتحاد الناتج مع اختلاف مصادر التركيب وعناصره او اختلاف الناتج مع اتحاد عناصر التركيب "دليل الخلق" على وجود الخالق، قال تعالى: [**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(12)**] سورة فاطر.

وقال جلَّ شأنه: [**وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (4)**] سورة الرعد. فقوانين الشيئية والتشيؤ الطبيعي وإن كانت مرتبطة بالمشيئة الإلهية ومشتقة منها غير أن المشيئة الإلهية ذاتها وضعتها في دائرة السننية الثابتة بحيث لا تحتمل قبول فكرة وحدة أصول تكوينية تتفاعل وفقا لقوانين التشيؤ ثم تختلف نتائجها وتتنوع، ففي سورة الرعد نجد العناصر المختلفة (وحدة الماء والتراب) لكن الناتج لا متناهي من الحبوب والفواكه والثمار والبقول والزهور وسواها. وفي آية سورة فاطر نجد مصادر تكوينية مختلفة، أنهار ذات ماء عذب فرات وبحار ذات ملح أجاج، ومع ذلك فالناتج اتحد في (لحم طري) وحلية؛ فقوة الخلق والتخليق تشيؤ وريادة ومبدأ (الخلق) هو الذي يصلح تفسيرا لانبثاق مظاهر الحياة- كلها- على تعددها وتنوعها واختلافها من عنصر واحد هو الماء.

إما قوانين التشيؤ فهي قاصرة عن تقديم هذا التفسير وكذلك حين نحاول تفسير تولد الحي من الميت وتولد الميت من الحي فان قوانين التشيؤ تعجز عن تقديم ذلك التفسير خلافا لمبدأ (الخلق) فتبارك الله أحسن الخالقين.[72]

---

[69] أحمد محمد كنعان، أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ص:52

[70] سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص:125

[71] عماد الدين خليل: حول تشكيل العقل المسلم، ص:64

[72] طه جابر العلواني: في تصدره لكتاب أهداف التربية الإسلامية: في تربية الفرد، وإخراج الأمة وتنمية الإخوة الإنسانية، ماجد عرسان الكيلاني، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة إسلامية المعرفة (20) ط: الأولى سنة 1417هـ/1997م، ص:18.

–انظر: محمد أبو القاسم حاج حمد: إسلامية المعرفة: المفاهيم والقضايا الكونية، مجلة تفكر، مرجع سابق، ص:14.

–انظر كذلك: محمد أبو القاسم حاج حمد: المنهجية القرآنية المعرفية (أسلمة فلسفة العلوم الطبيعية والإنسانية) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، محدودة التداول الطبعة) ص:80، 81.

–وانظر: ابن كثير : تعديد منافع البحر: ضمن تفسيره تفسير القرآن العظيم، في تفسر سورة النحل، ج:2 ص:581. وكذلك ص: 513 (دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى) ضمن تفسيره لسورة الرعد.

–وانظر: صفوت عبد الفتاح محمود: تأملات في قوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون) ص:11 وما بعدها.

ولقد رفض القرآن التفسير الأسطوري الخرافي لحوادث الكون والطبيعة والحياة وجعل الارتباط بين الحوادث ارتباطا موضوعيا بين المقدمات والنتائج، بين الأسباب والمسببات يقول الله تعالى: [**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)(63)**]سورة الحـج.

(بل أن أحد طرائق القرآن المبثوثة عبر سوره ومقاطعه جميعها هي: التأكيد على ضرورة اعتماد هذه الرؤية السببية للظواهر والأشياء من أجل الوصول إلى معجزة الخلق ووحدانية الخالق)[73].

فالله سبحانه وتعالى هو خالق الأسباب كلها سواء كانت الأسباب حركة باختيار المُسَّخر وقصده كما يحدثه تعالى بحركة الملائكة والجن والأنس والبهائم أو حركة جماد لما جعل الله فيه من الطبع كحركة الرياح والمياه ونحو ذلك، فالله خالق ذلك كله، فإنه لا حول ولا قوة إلا به، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن[74] [**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ) (30)**]سورة الإنسان.

فالتوازن بين مجال المشيئة الإلهية الطليقة، ومجال المشيئة الإنسانية المحدودة.وهي القضية المشهورة في تاريخ الجدل في العالم كله، وفي المعتقدات كلها، وفي الفلسفات والوثنيات كذلك باسم قضية (القضاء والقدر) أو الجبر والاختيار. والإسلام يثبت للمشيئة الإلهية الطلاقة- ويثبت لها الفاعلية التي لا فاعلية سواها، ولا معها- وفي الوقت نفسه يثبت للإنسانية المشيئة الإيجابية- ويجعل للإنسان الدور الأول في الأرض وخلافتها وهو دور ضخم، يعطي الإنسان مركزا ممتازا في نظام الكون كله، ويمنحه مجالا هائلا للعمل والفاعلية والتأثير. ولكن في توازن تام مع الاعتقاد بطلاقة المشيئة الإلهية وتفردها بالفاعلية الحقيقية من وراء الأسباب الظاهرة وذلك باعتبار أن النشاط الإنساني هو أحد هذه الأسباب الظاهرة وباعتبار أن وجود الإنسان ابتداء وإرادته وعمله، وحركته ونشاطه داخل في نطاق المشيئة الإلهية الطليعة، المحيطة لهذا الوجود وما فيه ومن فيه[75]- فكيف وليس شئ من الأسباب مستقلا بمطلوب بل لابد من انضمام أسباب أخرى إليه ولابد أيضا من صرف الموانع والمعارضات عنه حتى يحصل المقصود.

فكل سبب له شريك وله ضد، فإن لم يعاونه شريكه ولم يعرف عنه ضده لم يحصل سببه فالمطر وحده لا ينبت النبات إلا بما ينضم إليه من الهواء والتراب وغير ذلك، ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الآفات المفسدة له، والطعام والشراب لا يغذي إلا بما جعل في البدن من الأعضاء والقوى ومجموع ذلك لا يفيد أن لم تعرف المفسدات، والمخلوق الذي يعطيك أو ينصرك فهو ـ مع أن يخلق فيه الإرادة والقوة والفعل ـ فلا يتم ما يفعله إلا بأسباب كثيرة خارجة عن قدرته وتعاونه على مطلوبة... وكل سبب معين فإنما هو جزء من المقتضى فليس في الوجود شيء واحد مقتضياً .. وحينئذٍ فيقال: لابد من وجود المقتضي والشروط وانتفاء الموانع .[76]والنماذج على ذلك كثيرة في القرآن الكريم منها:[**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (57)**]سورة الأعراف.

---

[73] علاء عماد الدين خليل: حول تشكيل العقل المسلم، ص: 64، 65.

[74] شيخ الإسلام احمد بن تيمية: مجموع الفتاوي الكبرى، ج:8، كتاب القدر، ص:168

[75] سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي ومقدماته، ص:126

[76] شيخ الإسلام أحمد بن تيمية : مجموع الفتاوي ، ج :8 ، كتاب القدر ، ص 167.

يقول وتلك هي آثار الربوبية في الكون , وآثار الفاعلية والسلطان والتدبير والتقدير، وكلها من صنع الله، الذي لا ينبغي أن يكون للناس رب سواه، وهو الخالق الرازق بهذه الأسباب التي ينشئها برحمته للعباد .

وفي كل لحظة يهب ريح، وفي كل وقت تحمل الريح سحاباً، وفي كل فترة ينزل من السحاب ماء ـ ولكن ربط ذلك كله بفعل الله ـ كما هو في الحقيقة ـ هو الجديد الذي يعرضه القرآن هذا العرض المرتسم في المشاهد المتحركة كأن العين تراه، أنه هو الذي يرسل الرياح مبشرات برحمته والرياح تهب وفق النواميس الكونية التي أودعها الله في هذا الكون، ولو أنه يقع وفق الناموس ـ بقدر خاص ينشئه ويبرزه في عالم الواقع .وحمل السحاب يجري وفق نواميس الله في الكون أيضاً ولكنه يقع بقدر خاص .ثم يسوق إليه السحاب ـ بقدر خاص منه إلى " بلد ميت " صحراء جدباء .. فينزل منه الماء بقدر كذلك خاص فيخرج من كل الثمرات ـ بقدر خاص منه يجري كل أولئك وفق النواميس والأسباب التي أودعها طبيعة الكون وطبيعة الحياة.[77]

ليس هناك فوضى في الكون، من ناحية البناء العلمي له، ومن ناحية الانطلاق الحضاري، سنن قائمة بيقين وثابتة ... وقد انطبقت هذه السنن على صاحب الرسالة " ﷺ " نفسه، نصراً وهزيمة .

فعندما قصروا في اتخاذ الأسباب المطلوبة لاستكمال النجاح في " أحد " هزموا وقيل لصاحب الرسالة ρ: (ليس لك من الأمر شيء) سورة آل عمران. وعندما استكملوا أسباب النصر انتصروا... وما يتصور أن أمة من الأمم تحابى أو تستثنى من هذه القوانين وقد طبقت هذه القوانين على أمتنا خلال الأربعة عشر قرناً من تاريخها[78].

وبعد كل هذا الاستعراض للقانونية السببية ودلالاتها المفاهيمية في تركيب العقلية المتفكرة فيها يمكن لنا أن نعرف (المنهج الاستقرائي للقانونية السببية في السنن الربانية) ـ بأنه هو طريق الرؤية القرآنية في بناء العقلية، المؤمنة، المتفكرة، التركيبية ـ بتقديمها للآيات القرآنية كمفهومات عامة ومعطيات ومقدمات تعريفية لاكتشاف العلاقات الوظيفية للآيات الكونية (التي لا يحصيها) والتوصل من ذلك إلى القوانين الإلهية، التي تحكم تلك العلاقات الوظيفية للآيات الكونية، المتجسدة في ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج، والتعرف عليها، والانضباط بمقتضياتها، بغية الفهم والتفسير، والضبط والتحكم في النتائج المتشيئة عنها، ورصد المقدمات والأسباب في الحاضر والتنبؤ بالنتائج في المستقبل، بعد توافق المشيئة الإلهية مع المشيئة المؤمنة المتفكرة [**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (29)**]سورة التكوير، للقيام بأمانة الاستخلاص في الأرض والعمل لوراثة الجنة:[**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (42)وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)(43)**]سورة الأعراف .

---

[77] سيد قطب : في ظلال القرآن: ج :3 ، ص 529-530 باختصار .

[78] الشيخ محمد الغزالي ،كيف نتعامل مع القرآن الكريم ، في مدارسة أجراها الأستاذ / عمر عبيد حسنه ، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (5) ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط : 1413هـ / 1992م .ص 49-50.

المراجع

1. القرآن الكريم
2. صحيح الإمام البخاري
3. صحيح الإمام مسلم
4. ابن تيمية: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني:

أ/ المعجزة وكرامات الأولياء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت) .

ب/ الرد على المنطقيين، تحقيق سليمان الندوي، المكتبة والمطبعة القيمية لصاحبها، شرف الدين الكتبي وأولاده،بمباي، الهند، عام 1949م .

ج/ مجموع الفتاوي الكبرى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد القاسمي النجدي وابنه محمد، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبع على نفقة الملك فهد بن عبد العزيز، (د.ت).

د/ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، حققه أبو يعلى الغويسني محمد أيمن بن عبد الله حسن الشبراوي، منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، عام 1421هـ/2000م.

5. ابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، المعروفة بسيرة إبن هشام، تحقيق: جمال ثابت ومحمود محمد، وسيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د.ت) .
6. ابن منظور المصري،أبي الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط: 2، سنة 1414هـ/ 1994م .
7. أحمد المهدي عبد الحليم، نحو صيغة إسلامية للبحث الاجتماعي والتربوي، مجلة رسالة الخليج، العدد: 23، المجلد: 8، الرياض: 1408هـ/1987م، الرياض، السعودية، مكتبة التربية العربي .
8. أحمد عصام عبد الوهاب وأحمد حسين القفل، حول التوجيه الإسلامي لعلم الأحياء وتقويم مناهجه الحالية في معاهد التعليم بالعالم الإسلامي ـ رابطة الجامعات الإسلامية،بالاشتراك مع جامعة الأزهر من: 24-29 أكتوبر 1992م.
9. أحمد مجول النعيمي، الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، الدار العربية للعلوم ومكتبة الرائد، عمان، الأردن، ط: 1، عام 1412هـ/2000م.
10. أحمد محمد كنعان، أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، كتاب الأمة، العدد: 26، إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، دولة قطر عام 1411هـ/1990م .
11. الزمخشري: أبو القاسم الجار الله محمود بن عمر الزمخشري:

أ/ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، الطبعة الأخيرة: 1392هـ/1972م .

ب/ أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط:2، عام 1415هـ/1994م.

12. سيد قطب إبراهيم:

أ/ معالم في الطريق، دار الشروق، بيروت، الطبعة الشرعية، عام 1415هـ/1995م.

ب/ خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط: 9، دار الشروق، بيروت، عام 1403هـ/1983م.

ج/ في ظلال القرآن، دار الشروق،بيروت، ط:13، عام 1407هـ/1987م.

د/ التصوير الفني في القرآن، دار الشروق،بيروت، ط:9، عام: 1415هـ/1995م.

هـ/ مشاهد القيامة في القرآن الكريم، دار الشروق،بيروت، ط:13، عام 1407هـ/1987م.

و/ هذا الدين، دار الشروق، بيروت، الطبعة الشرعية، عام 1409هـ/1990م.

13. عبد الرحمن بدوي،مناهج البحث العلمي، القاهرة، دار النهضة المصرية، عام 1963م.

14. محمد بن ناصر الحربي،اقرأباسم ربك، ج:2، نادي جازان الأدبي، السعود محمد فؤاد عبد الباقي:

15. محمد فؤاد عبد الباقي،المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ط: 3، عام:1411هـ/1991م .

16. سمير كامل،دروس في مقدمة القانون، مركز القاهرة للتعليم المفتوح، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، (د.ط) عام 1998م.

17. عبد الحميد أحمد أبو سليمان:

أ/ قضية المنهجية في الفكر الإسلامي: ضمن المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، مناقشات وبحوث المؤتمر الرابع للفكر الإسلامي العالمي، بين المعهد العالمي للفكر الإسلامي وجامعة الخرطوم، بالخرطوم في الفترة من يوم 15-20 جمادي الأولى 1407هـ/ الموافق: 15-20 يناير 1987م، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي،هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط: 2، عام 1415هـ/1994م .

ب/ أزمة العقل المسلم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية (11)، عام: 1414هـ/1994م.

18. عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب:

أ/ مشروع منهجية البحث في التربية الإسلامية ـ رؤية مغايرة ـ جامعة المنصورة، الإدارة العامة للدراسات العلا والبحوث والعلاقات الثقافية، إدارة البحوث، عام: 1417هـ/1996م.

ب/ منهج المعرفة في القرآن والسنة، دراسة مقارنة، بحوث في التربية الإسلامية، دار الفكر، القاهرة، ط:1، عام: 1406هـ/1987م.

19. عبد الرحمن صالح عبد الله،المنهاج الدراسي، أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، ط: 1، عام 1406هـ/1986م .

20. عماد الدين خليل:

أ/ حول مؤشرات الحضارة الإسلامية، موسوعة المثقف المسلم، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)

التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ت) .

ب/ العقل المسلم والرؤية الحضارية، دار الحرمين للنشر، القاهرة، مصر، ط: 2، عام 1417هـ/1997م .

ج/ حول تشكيل العقل المسلم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي،هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط:2، عام 1415هـ/1995م.

د/ مدخل إلى إسلامية المعرفة مع مخطط مقترح لإسلامية علم التاريخ، سلسلة إسلامية المعرفة (9)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط: 2، عام 1412هـ/1991م

21. على إدريس،القانون العلمي، مجلة الهداية، إصدار المجلس الإسلامي الأعلى، بتونس، العدد: 40، السنة: 18، رجب شعبان: 1414هـ/ نوفمبر، ديسمبر: 1994م.

22. غازي عناية، حقائق العلم في القرآن والسنة، منشورات محمد على بيضون العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، عام: 1417هـ/1997م.

23. جمال محمد الهنيدي، تربية العلماء الطبيعيات والكونيات المسلمين في القرون الخمسة الأولى من الهجرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، عام 1421هـ/2000م.

24. محمود حمدي زقروق، الحضارة فريضة إسلامية، مجلة المسلم المعاصر، السنة: 16، العدد: 63، رجب، شعبان، رمضان: 1412هـ/ فبراير، مارس، أبريل 1992م .

25. مجمع اللغة العربية القاهرة: المعجم الفلسفي، القاهرة، مطبوعات ـ مجمع اللغة العربية، عام:1984م .

26. طه جابر فياض العلواني:

أ/ الأزمة الفكرية المعاصرة تشخيص ومقترحات علاج، سلسلة المحاضرات (1) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عام:1409هـ/1989م .

ب/ خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية، رسائل إسلامية المعرفة (9)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: 1409هـ/1989م.

ج/ الجمع بين القراءتين،قراءة الوحي وقراءة الكون، سلسلة إسلامية المعرفة (22) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عام 1417هـ/1996م.

د/ العقل وموقعه في المنهجية الإسلامية، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، السنة: 2، العدد: 6، ربيع الآخر،1417هـ/1996م .

27. محمد بن بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، عني برتيبه: محمود خاطر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د.ت) .

28. محمد معين صديقي، الأسس الإسلامية للعلم، سلسلة الرسائل في إسلامية المعرفة (3) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط: 1، عام: 1409هـ/1989م .

29. محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن ـالكريم، في مدارسة أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (13) المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط: 1، عام: 1413هـ/ 1992م .

30. كارم غنيم، قضية العلم والمعرفة عند المسلمين، مجلة المسلم المعاصر، السنة: 3، العدد 39، رجب ـ شعبان ـ رمضان: 1404هـ/1984م.